تمهيد

يعد المستوى الصوتي أول المستويات التي يمكن من خلالها الولوج إلى التحليل اللساني، ونظرا لمكانته الكبيرة ، فقد أولى له علماء العربية القدامى الأهمية البالغة في مباحثهم اللغوية الأولى، ولم يسبق العرب في ذلك إلا الهنود الذين ارتبطهم مباحثهم الصوتية بكتياهم المقدس "الفيدا"، وكذلك كان الحال عند العرب، الذين ارتبطت جل مباحثهم اللغوية بالقرآن الكريم، وما ارتبط شيء بكتاب الله إلا دون وازدهر وكان له شأن ضمن المنظومة المعرفية العربية.

أقسام علم الأصوات:

اختلف العلماء اختلافا واسعا في طريقة تقسيم علم الأصوات، ولكننا سنأخذ بأكثرها شيوعا، إذ يمكن تقسيم علم الأصوات إلى قسمين:

- علم الأصوات العام
- علم الأصوات الوظيفي

ويتفرع القسم الأول إلى ثلاثة فروع:

- علم الأصوات الفيزيائي
- علم الأصوات النطقي
- علم الأصوات السمعي

وما يهمنا بين هذه الأقسم الثلاثة هو القسم الثاني، الذي سنفصل فيه بإن الله في المحاضرات القادمة.

ويمكن تمثيل هذا التقسيم وفق الشكل التالي:

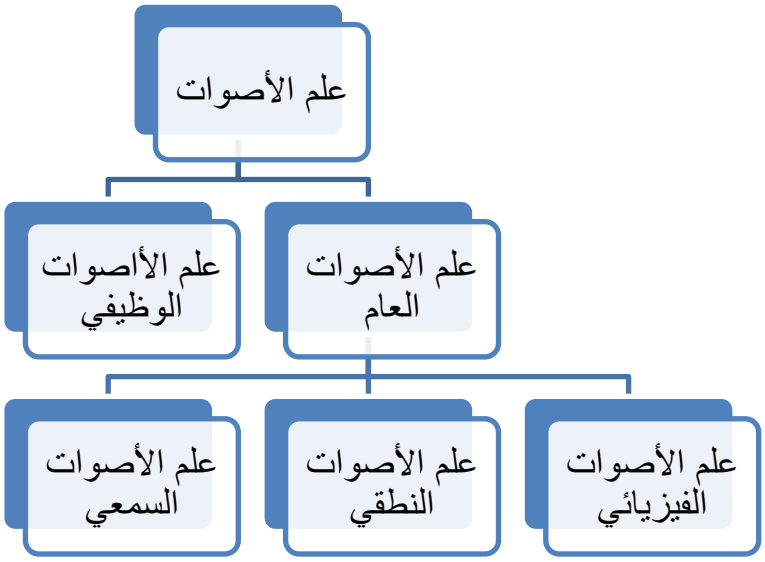

الشكل (01) : تمثيل أقسام علم الأصوات

ولنفصل في كل قسم على حدة:

1-علم الأصوات العام Phonetics:

ويختص هذا العلم بدراسة المادة الصوتية، ودراسة الجهاز المسؤول عن إنتاجها واستقبالها، وينقسم إلى ثلاثة فروع:

1-1- علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي):

ومجاله النظر في الذبذبات التي تحدثها الأصوات في الهواء، أثناء انتقالها من فم المتكلم إلى أذن السامع، أي أنه "يدرس البيئة الفيزيقية للأصوات المستعملة"، وبالتالي فإن مجال هذا العلم هو الموضوعات المتعلقة بالجانب الفيزيائي للصوت، وتحليل موجاته من حيث القوة والضعف، ومن حيث العلو والاتساع، وكل ما تعلق بالصوت من الناحية المادية الفيزيائية، كالترددات والرنين والمرشحات وغيرها.

وقد كان للدراسات في هذا العلم الأثر البالغ في تطوير الدراسات الصوتية عموما، خاصة في:

1-الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لعلماء الصوتيات من قبل.

2-تعديل مناهج الدرس وطرقه، وتغيير ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

3-تأييد بعض الحقائق التي توصلوا إليها بالطرق التقليدية، وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق.

1-2- علم الأصوات النطقي:

وهو العلم المتعلق بالجهاز المنتج للأصوات، أي أنه يدرس "كيفيات إصدار هذه الأصوات بالإشارة إلى مخارجها وسماتها النطقية"، وبالتالي فإن هذا العلم يختص ببيان مخارج الحروف، وطرق النطق بها، وصفاتها، وهو بذلك ملزم بدراسة الجهاز النطقي للإنسان بتفصيلاته، ومعرفة مخرج كل صوت داخل هذا الجهاز، وقد كان لعلمائنا القدامى الفضل الكبير في دراسة كل ذلك بالتفصيل ضمن علم التجويد، بل ضمن النحو ذاته.

1-3- علم الأصوات السمعي:

وهو المقابل لعلم الأصوات النطقي، فإذا كان هذا الأخير يدرس مكونات الجهاز النطقي، وكيفيات إنتاج الأصوات منه، فإن علم الأصوات السمعي يدرس مكونات الجهاز السمعي، وكيفية استقبال الأذن للأصوات.

ويعد علم الأصوات السمعي "أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق، وهو ذو وجهين، جانب عضوي فسيولولجي، وجانب نفسي، أما الأول فوظيفته النظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع، وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات، وهي مرحلة تقع في مجال علم وظائف السمع كما هو واضح، ... ويكز الجانب الثاني في جهوده على البحث في تأثير هذه الذبذبات على أعضاء السمع (الداخلية منها بوجه خاص) وفي عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك، وهذه مرحلة نفسية خالصة، وميدانها الحقيقي هو علم النفس"

2-علم الأصوات الوظيفي:

إذا كان علم الأصوات العام ينظر إلى الصوت منعزلا، فإن علم الأصوات الوظيفي يدرس الصوت ضمن سياق إنتاجه وتلقيه، فهو "يبحث في وظائف الأصوات اللغوية من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها والدور الذي يقوم به في عملية التواصل اللغوي"، أي أنه "يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، ومن حيث إخضاع المادة الصوتية للتقعيد"

ولقد فرق تروبتسكوي في كتابه "مبادئ الفونولوجيا" بين العلمين انطلاقا من ثنائية دوسوسير: اللسان/الكلام، حيث أسس لمفهوم الفونيم على أساس انتمائه للكلام، فيما يقابل الصوت الذي ينتمي للسان، وبالتالي يصبح (علم الأصوات العام هو العلم الذي يحلل ويصف أصوات اللغة، وهي في حالة التجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى" والثاني [علم الأصوات الوظيفي] هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية، ومثاله قولنا: النون صامت مجهور، سني، أغن، نكون قد وصفناه على أنه وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات، وهو ما يهتم به علم الأصوات العام، بينما علم الأصوات الوظيفي يهتم بتنوعات الصوت حسب السياق، فالنون مثلا في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمة (منك) و(عنك) ... إلخ"